المجتمع الافتراضي والسلوك الاجتماعي: دراسة ميدانية لسلوك المنخرطين في شبكات التواصل الاجتماعي الفيس بوك نموذجا .

Virtual community and social behavior: a field study of the behavior of those involved in social networks Facebook as an example

الفرفار العياشي *

جامعة القاضي عياض (المغرب) kelaanews@gmail.com

تاريخ الارسال: 2020/01/15 تاريخ القبول: 2020/09/17 تاريخ النشر: 2021/01/15

ملخص:

من خلال هذه الورقة البحثية نهدف إلى دراسة المجتمع الافتراضي وتأثيره على الأداء السلوكي للشخصية من خلال دراسة أنماط السلوك الاجتماعي وإبعاده داخل شبكات التواصل الاجتماعي الفيس بوك نموذجا.

الدراسة كشفت أن فضاءات التواصل الاجتماعي وفضاءات الانترنيت اللامحدودة صنعت واقعا اجتماعيا جديدا بقيم ومعايير جديدة، حيت كل فرد يعيش عزلة قاتلة حتى وإن كان محاطا بأصدقائه.

الإقامة في الواقع الافتراضي كانت له مبرراته النفسية واللاشعورية حيت شكل فرصة مناسبة لتخفيف من حجم القلق والتوتر المرتبط بالتجربة الواقعية وكذا تفريغ المكبوتات بما يساهم في استعادة التوزان النفسي للشخصية القلقة، كما يشكل فرصة لتحقيق الحرية وبناء عوالم خاصة بعيدا عن رقابة واكراهات الواقع.

الفضاء الافتراضي هو فضاء للحرية يمنح فرصة اكبر للتعبير عن الذات، بعيدا عن الرقابات الاجتماعية والمؤسساتية وهو ما يقود الى استناج ان المجتمع الافتراضي اصبح اداة وظيفية لتصريف كل ضغوطات المجتمع الفعلي من اجل التخفيف و اعادة بناء التوازن النفسي لأصحاب الهويات الافتراضية.

الكلمات المفتاحية : المجتمع الافتراضي – الهوية الافتراضية – التحليل النفسي.

Abstract

Through this research paper، we aim to study the virtual community and its impact on the behavioral performance of the personality through studying patterns of social behavior and its dimensions within social networks Facebook as an example.

The study revealed that social media spaces and unlimited internet spaces created a new social reality with new values and standards، saluting everyone living in deadly isolation even if surrounded by his friends.

Residence in the virtual reality had its psychological and subconscious justifications، in the form of a suitable opportunity to reduce the amount of anxiety and tension associated with the real experience، as well as the emptying of repression in a way that helps restore the psychological balance of the anxious personality، as it constitutes an opportunity to achieve freedom and build special worlds away from censorship and constraints Reality.

A virtual space is a space for freedom that gives more opportunity to express oneself away from social and institutional controls، which leads to the conclusion that the virtual community has become a functional tool for the disposal of all the pressures of the actual society in order to alleviate and rebuild the psychological balance of the owners of virtual identities .

Keywords: Virtual Society - Virtual Identity - Psychoanalysis

* المؤلف المرسل.

اولا : مقدمة الدراسة :

إن التفكير في البعد الاجتماعي للشخصية يقود إلى طرح سؤالين، كيف يرتبط الفرد بالمجتمع وكيف يمكن تفسير مسائلة تعدد أنماط الشخصية داخل المجتمع الواحد؟

إذا كان الخطاب السيكولوجي ينظر إلى الشخصية من خلال النظام النفسي، فإن الخطاب السوسيولوجي يقيم تصورا جديدا لدراسة الشخصية انطلاقا من البعد الاجتماعي المحيط بها، وفق القاعدة التي رسخها إميل دوركايهم: **تفسير الاجتماعي بالاجتماعي**، فالشخصية داخل هذا الخطاب ينظر إليها كبناء نظري لسلوكات نمطية ترتبط بمحددات المجتمع وسلطة مؤسساته، من اجل تكوين إنسان اجتماعي داخل مؤسسات المجتمع وعبر وسائل التنشئة الاجتماعية.

إن اشكالية الدراسة تتحدد بناء على التداخل بين الواقعي و الافتراضي في بناء الشخصية في ظل هيمنة العلاقات والقيم الافتراضية و الانتشار الكثيف لشبكات التواصل الاجتماعي لاسيما في ظل التغيررات المرتبطة بنظام العولمة وتأثيراتها لاسيما على النظم الاجتماعية و القيم المجتمعية و على طبيعة آليات بناء الشخصية قد أحدثت الكثير من التغييرات على مستوى نمط الشخصية ووظائفها.

المجتمع الافتراضي له قوانينه الخاصة والتي يصعب التحكم فيها، لأنه داخل هذه المجتمعات تتغير شبكات التحديد وشبكات القيم ومعايير التمايز الاجتماعي والقيمي، حيت تنمحي خصائص الحضور المعيش، وتغيب العناصر الظاهرية والشكلية للفرد مثل: اللغة والعادات و أنماط اللباس والجنس و اللون و الانتماء الوظيفي و غيرها؛ ويصبح الفرد يعرف ذاته عبر إيقونات وأسماء مستعارة او عناوين الالكترونية.

الإشكالية تتحدد حين نحاول معرفة شكل العلاقة بين الشخصية الفعلية والمجتمع الافتراضي و كيف تتأثر قيم الفرد وعاداته و نمط شخصيته بقيم الفضاء الافتراضي الذي يدخل اليه و يتفاعل فيه؟

البعض اعتبر ان المجتمع الافتراضي يلعب دورا ايجابيا بالنسبة للشخصية حيت يساعد رواد الانترنيت على التعبير عن الذات و كشف مكنونانها بشكل ميسر وحر،و بالتالي يساهم في إثراء الشخصية و غناها.

ذلك أن المجتمعات الافتراضية تفسح المجال للفرد بأن يضع هويته محل استكشاف وتجريب، أي بإمكانه أن يقدم نفسه كما يشاء وعلى النحو الذي يريده وهو السلوك الذي قد يتعذر عليه في المجتمع الواقعي، حتى أن بعض العلماء أطلقوا على العوالم الافتراضية اسم "ورشات الهوية" Identity Work حيث يستطيع الفرد اكتشاف امكاناته وقدراته المختلفة.

وفي مقابل هذا الطرح ذي المنحى الإيجابي نجد هناك طرحا آخر يتخوف من أبعاد الهوية الافتراضية على الهوية الشخصية للأفراد، ويرى أن العلاقات الاجتماعية الافتراضية في معظمها تجمعات خفيه مجهولة الهوية، فالفرد الذي ينخرط في هذه التفاعلات له الحق أن يخفي نفسه تحت مسميات مختلفة لاعتبارات خاصة. فهوية الفرد أو شخصيته تختفي في ظل هذه التفاعلات بل وتتباين في قوالب عديدة، بالإضافة إلى سلخ الفرد عن هويته الشخصية.

ومن خلال الأطروحات السابقة تسعى هذه الدراسة إلى البحث في إشكالية علاقة الهوية الافتراضية بالهوية الحقيقية،وكيف يتفاعل الأفراد داخل المجتمع الافتراضي وأبعاد هذا التفاعل على الحياة الواقعية ؟ وتنبثق عن هذه الإشكالية التساؤلات الآتية:

- معرفة مميزات المجتمع الافتراضي؟
- تحديد أسباب و دواعي الانخراط في المجتمعات الافتراضية؟
- هل تعتبر الهوية الافتراضية انعكاسا للهوية الحقيقية أم اخفاء لها؟
- هل تسعى الهوية الافتراضية إلى الانسلاخ عن قيم المجتمع ومعاييره أم تراعيها داخل المجتمع الافتراضي؟

ثانيا : أهمية الدراسة.

تتجلى أهمية هذه الدراسة أولا في أهمية الانترنت باعتبارها أصبحت الوسيلة الاتصالية الأولى على المستوى العالمي، وثانيا في أهمية مسألة الهوية وإعادة النظر في مكوناتها ودراسة مختلف أبعادها خاصة في هذا العصر الذي تطبعه سمتا العولمة والرقمنة، ومع قلة الدراسات العربية حول الهوية الافتراضية خاصة الدراسات الميدانية منها، تأتي هذه الدراسة كمساهمة علمية لإثراء هذا الموضوع.

و تهدف الدراسة إلى:

- تحديد المفاهيم المؤسسة للدراسة.
- جمع معطيات حول موضوع الدراسة اعتمادا على تقنيتي الاستمارة و المقابلة.
- الاطلاع على بعض التوجهات حول علاقة الذات بالمجتمع الافتراضي.
- الكشف عن بعض ملامح الهوية الافتراضية وأبعاد التفاعل الرقمي.

ثالثا : فرضيات البحث.

ان الهدف الرئيسي من الدراسة هو فحص الفرضيتين الآتيتين:

الفرضية الأولى:ان الفضاءات الافتراضية و شبكات التواصل الاجتماعي تشكل امتداد لحياة المنخرطين العادية.

الفرضية الثانية : ان شبكة التواصل الاجتماعية تشكل فرصة لتفريغ المكبوثات و التي لا يستطيع إفراغها في المجتمع الفعلي.

رابعا : إجراءات الدراسة الميدانية.

سيتم انجاز الدراسة الميدانية وفق الخطوات الآتية:

4-1 الإطار الزمني: النطاق الزمني للدراسة يشمل منشورات و تدوينات و تفاعلات زوار شبكة الفيس بوك خلال الفترة الزمنية من شهر يناير 2019 الى شهر ابريل 2019 .

4-2 الإطار المكاني : بالنسبة لمكان الدراسة مرتبطة بالفضاء الافتراضي و التي يتجاوز مقولة المكان الجغرافية في تحديدها التقليدي .

4-3-أدوات الدراسة.

4-3-1 المنهج المعتمد في الدراسة.

المنهج هو عبارة عن مجموعة من الخطوات والاجراءات الدقيقة و العلمية والتي تقود الى الحصول على المعطيات وتحليلها بهدف تحليل و تفسير ظاهرة معينة موضوع البحث و الدراسة، هناك العديد من المناهج البحثية والأساليب

العملية التي يمكن اتباعها لإجراء بحوث الانترنت بهدف استكشاف المجتمعات الافتراضية ودرسها وتحليلها بحسب البيانات والمعلومات ومختلف الحقائق الرقمية التي بالإمكان الحصول عليها من مستخدمي الأنترنت عبر مختلف قنواتها الاتصالية باعتبارهم أعضاء في المجتمع الافتراضي. انجاز الدراسة سيتم عبر توظيف المنهج الوصفي والذي يهدف إلى وصف ظواهر أو وقائع وأشياء معينة من خلال جمع الحقائق والمعلومات والملاحظات الخاصة بها ، بحيث يرسم ذلك كله صورة واقعية لها.

المنهج المعتمد في الدراسة يشمل مايلي:

أولا: المعاينة المباشرة و انجاز مقابلات مع بعض النشطاء و المدونيين في شبكات التواصل الاجتماعي ثانيا : تحليل الوثائق و المعطيات و الأرقام المتوصل بها من طرف لجنة اليقظة الإقليمية.

ثالثا : دراسة كافة المنشورات على فضاءات التواصل الاجتماعي.

4-3-2 : عينة البحث

حيت ان مجال البحث غير محدود و يصعب حصره فانه سيتم اعتماد عينة عشوائية بالنسبة للاستمارة الالكترونية و التي تكون موجهة للجميع ، في حين يتم توظيف المقابلة بالنسبة لبعض النشطاء المعرفون و في هذه الحالة سيتم اعتماد العينة العشوائية الطبقية من خلال:

نوع العينة	طريقة التمثيل
العينة العشوائية	مفتوحة عبر تقنية الاستمارة الالكترونية
العينة العشوائية الطبقية	مقسمة حسب معيار الجنس و المستوى السوسيوتقافي

خامسا : مفاهيم الدراسة

5-1 : المجتمع الافتراضي : Virtual Community

المجتمع الافتراضي ظهر نتيجة تطور تقنيات واستخدام تكنولوجيات الحاسوب والاتصالات الرقمية منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي،ثم انبثقت بعد ذلك ما عرف بالمجتمعات الشبكية communities networked مع تقريبا أوائل التسعينيات حيث تطورت في شكل جماعات معروفة من مستخدمي الانترنت تشترك في الخصائص والاحتياجات والمهارات، ثم انتشرت هذه المجتمعات الرقمية بانتشار تكنولوجيا الويب.

وعرف يقدم "هاورد راينجولد" تعريفا للمجتمعات الافتراضية فيقول باعتبارها تجمعات اجتماعية تنشأ من الشبكة، حين يستمر أناس بعدد كاف في مناقشاتهم علنيا لوقت كاف من الزمن بمشاعر إنسانية كافية لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في الفضاء السايبريcyberspace.

فهذا التعريف يشير إلى أن المجتمعات الافتراضية هي شكل جديد من أشكال التجمعات الاجتماعية المستندة على التكنولوجيا، اعتبر الباحث الفجلاوي ان المجتمع الافتراضي على أنّها "المجموعات الاجتماعية الناشئة من خلال شبكة الانترنت، حيث يكون للمستخدمين القدرة على التعرف وخلق نقاشات لتشكيل وعي جمعي، وعلاقات شخصية في الفضاء الافتراضي.(Fejlaoui, 2009, p.9)

واعتبر المفكر إريكسون" أن المجتمع الافتراضي كمصطلح يشير إلى المحادثة والحوار المبني على الكومبيوتر، وهو يشير إلى أن الحوار مهما كان نوعه هو مبني أساسا على التفاعلية بين العديد من المتصلين والمستخدمين.

يعرف سيرج بروكس (Serge Proulx) المجتمع الافتراضي بأنها: "مجموعة أفراد يستخدمون منتديات المحادثة، حلقات النقاش، أو مجموعات الحوار الذين تنشأ بينهم علاقة انتماء إلى جماعة واحدة ويتقاسمون نفس الأذواق، القيم، والاهتمامات ولهم أهداف مشتركة2004،Serge Proulx ;et autres

5-2: الهوية الافتراضية:

الهوية هي الذاتية هي مجموع القيم و المثل و المبادئ التي تشكل الأساس الراسخ للشخصية الفردية أو الجماعية، و هوية الفرد عقيدته و لغته و ثقافته و حضارته وتاريخه، الهوية هي ما به يكون الشيء هو هو مما يحقق ذاته و يحدد تميزه(محمد عابد الجابري، 1992).

حسب موسوعة الويب webopedia تعرف الهوية الافتراضية Virtual identity بأنها الشخصية التي يتم إنشاؤها من طرف المستخدم الانسان الذي يعمل كصلة وصل بين الشخص الطبيعي والشخص الظاهري للمستخدمين[محمد إبراهيم عيد، 2002).

وحسب هذا التعريف فإن الهوية الافتراضية هي السمات والمواصفات التي يقدمها الفرد الطبيعي للآخرين عبر الانترنت، فتكون عملية الاتصال تتم بين ثلاثة أطراف وليس طرفين وهي: الشخص العادي والهوية الافتراضية والأشخاص الآخرين.

ونعرف الهوية الافتراضية في هذه الدراسة بأنها مجموع الصفات والرموز والبيانات التي يستخدمها الأفراد في تقديم أنفسهم للآخرين في المجتمعات الافتراضية ويتفاعلون معهم من خلالها.

و قدد حدد انطوني غولدنز خصوصية الهوية الافتراضية كونها (انتوني غيدنز، 2005): "أنها مجموعة من الإفراد، الذين يتشاركون عبر شبكة الانترنت، لفترة زمنية لتحقيق غاية أو هدف أو هواية، من خلال علاقة اجتماعية-افتراضية تحددها منظومة تكنو-اجتماعية.

وكما أشار الى سمات المجتمع الافتراضية وتمتاز بخمس خصائص: الجاذبية – الافتراضية – الخيالية – اللامركزية والاختيارية.

الهوية الافتراضية مؤسسة على حرية الإبحار في قارة زرقاء " الفيس بوك ، فهذا يعني انها هوية مشتتة داخل فضاء مرقمن لا يعترف إلا بالتعدد و الاختلاف و التشتث، ويعترف فقط بالتشبيك ربط الناس فيما بينهم من اجل المتعة و التواصل و اشياء خرى خارج الحدود الجغرافية و الثقافية و القيمية.

هو ما يجعل الهوية الافتراضية تعادي الوحدة و الثبات، أي ان الشخصية القاعدية التي تحدث عنها رالف لنتون في حديثه عن وجود شخصية قاعدية تمثل الإطار المشترك لأعضاء مجتمع واحد.

5-3: مفهوم التحليل النفسي.

لحظة فرويد، حسب التوسير شكلت الصدمة السيكولوجية للفكر الغربي، حسب فرويد فدينامية الفعل الإنساني تكمن في اللاشعور، وليس في الشعور أو الوعي كما كان يعتقد من قبل ، ما هو حقيقي لا يكمن في دائرة الوعي، أن ما

يعنيه الإنسان ليس حقيقيا، لذا اعتقد أن حقيقة الشخصية تكمن في منطقة اللاشعور، الذي يتكلم في غفلة من الناس لذا دعا إلى تعلم لغته من أجل فهمه،إذن المهمة الأساسية للتحليل النفسي هي تفسير السلوك الإنساني من خلال الأحلام وزلات القلم واضطرابات الشخصية من أجل الوصول إلى بنية اللاشعور المحدودة للحياة النفسية.
لذا شبه فرويد شخصية الإنسان بجبل مغطى بالثلج لا تظهر منه إلا القمة / الشعور أما الجانب الخفي فهوا لا شعور، وقد نظر إلى الذات نظرة بنيوية تتشكل من ثلاث مناطق نفسية متفاعلة فيما بينها وطبيعة العلاقة التفاعلية بين المناطق الثلاث هو ما يحدد نمط الشخصية وطبيعتها.

يحتل مفهوم الشخصية في نظرية التحليل النفسي عند فرويد وضعا مركزيا وهو احد الأسس لبناء النظرية و قد وضع فرويد اطارا نظريا حول آليات بناء الشخصية و التي تتحدد كفعل ديناميكي بين مكونات اللاشعور الثلاث : الهو و الأنا و الأنا الأعلى.

الأنا:يعتبر مركز الشعور والإدراك الحسي ويتطابق مع مبدأ الواقع ويقوم بدور الدفاع عن الشخصية وتوافقها كما إنه يعمل على تحقيق التوازن والتوافق الاجتماعي للشخص مع بيئته والالتزام بالقيم والمبادىء والتقاليد والعادات والقيم الاجتماعية.
الهو: يعتبر منبع الطاقة الحيوية النفسية ومستودع الغرائز والدوافع الفطرية وهو يمثل الأساس الغريزي الذي ينتج عنه الطاقة النفسية وهو لا شعوري كما إن الوظيفة الأساسية له تتمثل في جلب الراحة للإنسان وتحقيق اللذة دون الاهتمام بالقيم والعادات والتقاليد والمنطق،إنه يُمثل الخبرة الذاتية للعالم الداخلي.

الأنا الأعلى: يعتبر مستودع المثاليات والأخلاقيات وتنظيم منافذ العمل والسلوك والضمير ويُمثل ماهو مثالي وليس ماهو داخلي إنه بمثابة الدرع الأخلاقي للشخصية كما أنه يعمل على كبح اندفاعات الهو.

يشبه الأنا الأعلى الهو في أنه غير منطقي ويشبه الأنا في محاولته ممارسة التحكم بالغرائز ويختلف الأنا الأعلى عن الأنا في أنه لا يحاول إرجاع الإشباع الغريزي فحسب بل يحاول الحيلولة دونه على الدوام.

سادسا : نتائج الدراسة

اولا : المجتمع الافتراضي كواقع اجتماعي جديد .

للاجابة عن هذا التساؤل ثم توظيف استمارة و جهت الى 50 شخصا من خلال عينة عشوائية وتمحورت اسئلة الاستمارة حول هل تلج الى الانترنيت ؟

الجدول (01): توزيع العينة حسب معيار الانخراط في شبكات التواصل و الولوج لى فضاءات الانترنيت

استعمال الانترنيت	العدد	النسبة المئوية
نعم	%39	%78
لا	%8	%16
دون اجابة	%03	%6

النتائج المحصل عليها يتبين ان النسبة الكبيرة من المستجوبين و التي تبلغ 78 % يستعملون خدمات الانترنيت ، في حين نسبة 16% لا تستعمله ، ان 3 %لم تقدم اية اجابة او امتنعت عن الجواب .

نتائج البحث تكشف مدى مركزية الانترنيت و قيمته في الحياة الاجتماعية الجديدة، حيت أصبح واقعا اجتماعيا جديدا يجب التعامل معه. و ان نسبة 16 %ممن لا يستعملون الانترنيت اما لا يريدون اظهار الحقيقة على اعتبار ان الانترنيت ليس مصدر ثقة و بالتالي يعتبرون التعامل به تنقيص لهم .

فالواقع الافتراضي من خلال الانخراط في عوالم الانترنيت أصبح عالما جديدا له وجوده و قيمه و الى جانب العالم الواقعي و المعيش، وهو ما يجعل الفرد المنخرط في العالم الافتراضي يملك وجودا و تواجدا مزدوجا بين الواقع المعيش و الواقع الافتراضي .

فريدريك هيجل لم يكن يتوقع ان رؤيته لحركية التاريخ و الذي حدد نقطة نهايتها في تطابق الفكر والواقع ، قد انزاحت عن مسارها ، بسبب ضياع الواقع و سط عالم افتراضي .

هكذا اكتسح العالم الافتراضي العالم الواقعي ،كما التهمت الهوية الافتراضية الهوية الاصلية ، عملية الالتهام شبيه بشبكة العنكبوت و التي تصنع شبكة خيوط رقيقة و ناعمة لكنها جبارة في تكبيبل الضحية من اجل التهامها .

الواقعي أصبح افتراضيا و الافتراضي وأصبح واقعيا ، ربما هذا هو الواقع المعولم و الذي أصبح يغطي مجمل أنشطة الإنسان : (التعليم الافتراضي – الحب الافتراضي ،الشخصية الافتراضية، التجارة الافتراضية، الإرهاب الافتراضي،المتحف الافتراضي – القيم الافتراضية –التواصل الافتراضي، الزواج الافتراضي، العنف الافتراضي، المكتبات الافتراضية ومؤسسات التدريس الافتراضية وحتى عملة افتراضية –بيتكوين – أصبحت تشكل تهديدا للعملات المتداولة .

لقد أدت عملية رقمنة العالم إلى انتزاع الواقعية عنه. إنها ظاهرة من العسير التحكم فيها، إنها مثل ثقب أسود بتلع الواقع المحسوس.

الجدول (02): توزيع العينة حول المدة التي يتم انفاقها في عالم الانترنيت .

التكرار / مدة الاستعمال اليومي للانترنيت	عدد	النسبة المئوية
اكثر من 5 ساعات .	20	40
مابين 3و 5 ساعات .	12	24
مابين 1و 3 ساعات .	13	26
اقل من ساعة .	5	10

النتائج المحصل عليها تبين ان :

- 40 %يقيمون أكثر من خمس ساعات يوميا في فضاءات الانترنيت.
- 24 %يقيمون مابين 3 و 5 ساعات.
- 26 %يقيمون مابين ساعة و ثلاث ساعات.
- النسبة الأقل و المحددة في نسبة 10 تستهلك اقل من ساعة في فضاءات الانترنيت.

النتائج تمنح مؤشرات دالة على ان النسبة الكبيرة و التي تصل إلى 64 %تقتضي أكثر من ثلاث ساعات بما فيها نسبة 40 فقي المئة تسهلك أكثر من خمس ساعات يوميا، وهي مدة كبيرة بالمقارنة من عدد الساعات النشيطة و التي لا تتجاوز 10 ساعات في اليوم، إن استثنينا اوقات الأكل و قضاء الحاجات الطبيعية و غيرها مما هو ضروري.

هؤلاء يقضون أكثر من نصف وقتهم النشط في العالم الافتراضي، و هو ما يكشف أن هناك تحولا عميقا مس بينة المجتمع و علاقته بالإفراد، أي الانتقال من العالم الواقعي الى العالم الافتراضي و ان هؤلاء يقيمون في الواقع فقط من اجل ما هو طبيعي و بيولوجي، ثم ينتقلون الى عالم الحرية و المرونة و الإباحية وكل ما تبحث عنه الذات .فالمنخرطون في شبكات وفضاءات الانترنيت يعيشون عالمين متناقضين:

عالم الضرورة وهو العالم الطبيعي حيت الحاجات الأساسية مثل الأكل و الشرب و النوم و قضاء الحاجات و عالم الحرية أي الانتقال الى شبكات التواصل الافتراضي .

ثانيا : حول دواعي و أسباب الانخراط في فضاءات الانترنيت .

ومن اجل معرفة أسباب ودواعي استعمال الانترنيت و بالاعتماد على نتائج البحث عن طريق الاستمارة كانت النتائج على الشكل التالي:

جدول (03):توزيع العينة حول دواعي الانخراط في المجتمع الافتراضي

أسباب الاستعمال	العدد	النسبة المئوية
التواصل و الترفيه	29	58
البحث و المعرفة	05	10
البحث عن عمل او شئ ما او طلب مساعدة	04	8
تتبع أخبار الرياضة	07	14
اكتشاف ثقافات الآخرين	03	6
أسباب اخرى	02	4

نلاحظ من الجدول رقم (03) المعطيات و النتائج الآتية :

- 58 في المائة يلجؤن الى الانترنيت من اجل الترفيه .

- 10 %من البحث و المعرفة .
- 8 %من اجل البحث عن عمل او طلب مساعدة
- 14% من اجل تتبع الأنشطة الرياضية
- 6 %من اكتشاف تقافة الاخرين.
- 04% من اجل أسباب أخرى متعددة.

فالأرقام والنتائج المحصل عليها تمنح مؤشرات مهمة لتحليل وتفسير أسباب ودواعي الانخراط في عالم الانترنيت، كواقع اجتماعي جديد أصبحت له جاذبية لا تقاوم. وهو ما يفسر حركة النزوح الجماعي من الواقع المعيش إلى الواقع الافتراضي.

فغالبية المستجوبين يستعملون الانترنيت في التواصل و الترفيه بمعدل يتجاوز نصف المستجوبين، و تصل النسبة إلى 58 في المائة، مما يجعل الرقم دال على ان أسباب الانخراط و استعمال شبكات التواصل و فضاءات الانترنيت هي فضاءات من اجل البحث عن المتعة و الهروب من واقع ربما يبدو صعبا و قاسيا، او بسبب الامتيازات الداخلية الممنوحة داخل هذا العالم الجديد حيت الحرية والمرونة في ان يفعل المنخرط ما يريد و قتما يريد.

فهذه الفضاءات تتيح مساحات حرية كبيرة ، كما ان الولوج إليها ليس مكلفا يكفي هاتف نقال و تعبئة او حتى الجلو س في مقهى او بالقرب منها من اجل الولوج إلى عالم مفتوح، كما ان هذه العوالم اللامتناهية تمنح لزوارها كل ما يطلبه، ما يحقق له رغباته حتى تلك الرغبات و التي كانت محاطة بكافة أشكال المنع و التحريم.

و يمكن تفسير اللجوء الى شبكات التواصل الافتراضي من خلال نظرية الاستخدامات و الاشباعات في دراسة مواقع التواصل الاجتماعي ، حيت و جد كل من كل من بارت وآخرون عام 2009 العوامل الرئيسية لاستخدام مواقع، التواصل الاجتماعي وتحقيق الإشباع هي خلق الصداقات، التسلية، التعرف بالذات، التحصل على معلومات وكل من وجدوا ان أهم هذه العوامل تتلخص في الترفيه، التسلية، استسقاء المعلومات، (جيرمي و اخرون 2004).

الواقع الافتراضي هو واقع للحرية تغيب فيه سلطات المجتمع والدولة معا، كما انه يمنح هوامش كبيرة للفعل والحركة والتحرر من كل الالتزامات يكفي ان يزعجك شخص معين فيتم حذفه او تعليق التواصل معه، لان الأمر لا يحتاج الى اقل من عشر ثوان.

ان نسبة 10 %من مستعملي الانترنيت لهم أهداف معرفية وبحثية وهي نسبة قليلة واغلبهم من الطلبة والتلاميذ الدين يلجؤن الى الانترنيت كأداة وظيفية من اجل انجاز عمل او واجب مدرسي، أي ان البحث عن المعرفة ليس حافزا داخليا بقدر ما هو نتيجة أكراه خارجي.

كما ان شبكة الفيسبوك اصبحت تلعب دور سجل المعلومات على المنخرطين فيها و كافة زوارها و المقيمين فيها، لدرجة ان الطلبة يتعرفون على بعضهم البعض عبر الاضطلاع على سجل صفحاتهم (ياسين خضير البياتي 2014)

كما نسجل النسبة الكبيرة لمستعملي الانترنيت من اجل متابعة الأنشطة الرياضية و التي تصل إلى نسبة 14 %و هو مؤشر دال على مركزية الرياضة و أنشطتها لاسيما كرة القدم و التي اصبحت نشاطا يوميا.

و هو معدل كبير جدا بالمقارنة مع الاستعمالات الاخرى و ان نسبة الاستعمالات الخاصة بالبحث و المعرفة تعتبر نسبة ضعيفة جدا.

من اجل معرفة مكان الإقامة والتواجد الافتراضي مادمت المدة الإقامة طويلة ثم استخلاص مجموعة من النتائج كانت على الشكل التالي :

جدول (04):توزيع العينة حسب نوع المجتمعات الافتراضية :

مجالات الاستعمال	العدد	النسبة المئوية
شبكة الفيس بوك و الوتساب و المسنجر	30	50
شبكة توثير	02	3.33
الانستغرام و سناب شات و التيك توك	06	10
غرف الدردشة.	04	6.66
الايميل و التراسل الالكتروني	02	3.33
منتديات الالعاب الافتراضية منتديات وظيفية	05	8.3
مجال مختلط و اليوتوب	11	18.33

بقراءة نتائج الجدول رقم (04) يتضح مايلي:

- 50 %يقيمون في الفيس بوك.
- 18 %يقضون في مجال مختلط يشمل كافة فضاءات الانترنيت و شبكاته.
- 6. 6 يقضون وقتهم في غرف الدردشة و الحوارات.
- و الباقي في المنتديات الوظيفية و الالعاب الافتراضية.
- في حين شبكة توثير وهي الا قل زيارة .
- ان الشباب يستعملون سنا بشات و اليوتوب.
- البالغين و الراشدين يستعملون الفيس بوك .

النتائج المحصل عليها تكشف ان الفيس بوك هو الفضاء الأكثر استعمالا من طرف رواد الانترنيت و مستعملي الشبكات الاجتماعية، حيت ان نتائج المقابلات التي أجريت مع البعض من المستجوبين بينت ان الراشدين يستعملون الفيس بوك، في حين المراهقين يستعملون اليوتوب و السنابشات.

بمعنى ان شبكات التواصل بمختلف أشكالها أصبحت هي البيت الجديد حيت الإقامة فيه اكثر من الإقامة في الواقع الفعلي (مرزوق عبد الحكم العدلي ص2004 .ص 89). فالإقامة بمثل هذه المدة الزمنية من شانه التأثير على قيم وسلوكيات المرتادين.

ثمة فرضية تنتصب أمامنا حول أسباب اللجوء وبهذه الكثافة او الهجرة الجماعية نحو فضاءات الانترنيت، ان صعوبة التحرك داخل الواقع الفعلي يتم تجاوزها بالمجال الافتراضي حيت الحرية والسرعة والمرونة فالمنخرط ينتقل كيفما يشاء، ويقرا ما يريد وينتقد كيف يريد، انه فضاء للحرية بلا حدود وهدا احد الاسباب القوية والمؤثرة في عملية الانتقال والهجرة نحو العالم الافتراضي.

وأن نسبة 18.33 من يفضلون الانتقال من فضاء الى فضاء أخر مما يعكس وجود حافزية و إغراءات كبيرة تتمثل في مساحات الحرية و المرونة للمنخرطين في التحرك و الاختيار و الانتقال دون اية شروط مسبقة او اكراهات خارجية.

يبدو ان الهوية الافتراضية قد أدخلت تغييرات كبيرة على الحياة الداخلية للأسر، لأنها وفرت فضاء مريحا للفرد في عوالمه الزرقاء، بعيدا عن مراقبة وتدخل العائلة وقيمها واشتراطاتها القسرية. وضع ساهم في تكريس العزلة داخل الفضاء الأسري ورفع من منسوب العزلة الاجتماعية، وساهم في تفكك النسيج العائلي والأسري، كما أن العلاقات الالكترونية زاحمت العلاقات والمجالس العائلية. والأسرية.

اصبح الحديث عن القرية الكونية، إشارة الى تصغير الكبير/ العالم و تكبير الصغير/ الفرد، فالعالم اصبح قرية، مما منح الكثير من الوهم للافراد على التجوال فيها بسهولة حيت الدخول و الخروج متى يشاء الفرد ودون أي عناء (مرفت طرابيش وعبد العزيز السيد، 2000).

بمجرد الدخول إلى القرية – الفضاء الصغير و المعزول و المعرف سكانه و تضاريسه و حتى تفاصيل حياته اليومية – فان الزائر سيضيع و ربما يجد صعوبة من الخروج نظرا لتعقد مسارات التفاعل داخل شبكة تلتهم كل شئ بما فيها التهام الهويات الصلبة.

ما يؤكد أن الهوية الافتراضية هي هوية قوس قزحية ، متغيرة غير مستقرة هو ان اغلب زوار و مواطني القارة الزرقاء لا يكشفون على أسمائهم وعن هوياتهم الحقيقية،وهو أمر يكشف إحدى آليات تفكيك الهويات الأصلية و إذابتها في فضاء لامتناهي.

فكثير ممن يرتادونها لهم أسماء مستعارة ووجوه ليست وجوههم، وبعضهم له أكثر من حساب بأكثر من هوية وفق مصالحه ووضعيته الاجتماعية.

ان مبررات الانتقال من الواقع المعيش وتقليص مدة الإقامة فيه ، مرتبطة بمحاولة التحرر من سلطات والقيم القهرية للمجتمع الفعلي ، في مفهومه الدوركايمي كمجتمع موحد و متضامن سواء اليا او عضويا .

ثالثا : الهويات الافتراضية كالية دفاعية لتصريف المكبوث.

جدول (5): توزيع العينة حسب استعمال الاسماء المستعارة .

طبيعة الاسماء المستعارة	العدد	النسبة المئوية
الاسم الحقيقي	11	22
الاسم المستعار	33	66
وجود حسابين (واحد حقيقي و الثاني مستعار)	06	12

النتائج المتوصل اليها و المحددة في الجدول رقم 5 بها تفيد ان أكثر من 72 %من مستعملي الانترنيت و فضاءات التواصل الاجتماعي و شبكاته يخفون أسمائهم الحقيقية، و هو مؤشر مهم يستدعي معرفة الأسباب التي كانت وراء عدم الكشف عن شخصياتهم و عن حقيقتهم، هو ما يجعل التواصل يتم بوجوه مقنعة مما يفقد التواصل الاجتماعي حميميته.

وقد حددت أسباب استعمال الأسماء المقنعة في ما يلي:

- امتلاك الحرية و الابتعاد عن الالتزامات العائلية لاسيما للبنات.
- التحرر من المجاملة.
- التحرر من الخوف.
- تصفية الحسابات مع الخصوم عبر الإساءة والتشهير دون ملاحقة.
- التحرر من الحرج.
- من اجل توصيل رسائل بدون إثارة اية حساسية.
- إشباع فضول التفتيش والرغبة في اكتشاف حقيقة الآخرين.
- التحرر من الشخصية الواقعية.
- الهروب من تقاليد و قيم المجتمع.
- الجميع يحرص على إبراز الجانب الجميل فيه، وإن ادّعى البعض غير ذلك.
- مناقشة أمور محظورة او ممنوعة و تشكل طابوهات اخلاقية او سياسية .
- وسيلة للاحتجاج و النقد السياسي.
- اداة لقول الصراحة و الحقيقة دون أي خوف.
- وسيلة للخائفين لقول الحقيقة في وجه المجتمع ووجه العالم.

فالاستنتاج الأساسي هو الرقم الكبير و النسبة المئوية المرتفعة الخاصة باستعمال الأسماء المستعارة، و الدخول الى فضاءات التواصل الاجتماعي بوجه غير مكشوف و بأسماء غير حقيقية مما يجعل الانترنيت فضاء لكشف الحقيقة لكن بوجوه غير مكشوفة.

الامر يقودنا الى طرح مجموعة من الاستنتاجات، ان شبكات التواصل هي شبكات وظيفية تتيح للفرد تفريغ شحناته وعواطفه و مكبوثاتها العنيفة و اتي توثر على ادائه السلوكي العادي و تفقده مبدا التوازن النفسي.

هذه الاستنتاجات تنسجم مع تصورات و أسس نظرية التحليل النفسي لسيجموند فرويد و الذي اعتبر ان دينامية الفعل الإنساني تكمن في اللاشعور، وليس في الشعور أو الوعي كما كان يعتقد من قبل، و ان ما هو حقيقي لا يكمن في دائرة الوعي، أن ما يعنيه الإنسان ليس حقيقيا، لذا اعتقد أن حقيقة الشخصية تكمن في منطقة اللاشعور، الذي يتكلم في غفلة من الناس لذا دعا إلى تعلم لغته من أجل فهمه، إذن المهمة الأساسية للتحليل النفسي هي تفسير السلوك الإنساني من خلال الأحلام وزلات القلم واضطرابات الشخصية من أجل الوصول إلى بنية اللاشعور المحدودة للحياة النفسية.

لذا شبه فرويد شخصية الإنسان بجبل مغطى بالثلج لا تظهر منه إلا القمة / الشعور أما الجانب الخفي فهوا لا شعور، وقد نظر إلى الذات نظرة بنيوية تتشكل من ثلاث مناطق نفسية متفاعلة فيما بينها وطبيعة العلاقة التفاعلية بين المناطق الثلاث هو ما يحدد نمط الشخصية وطبيعتها.

و قد حدد فرويد ان تعاسة الإنسان مرتبطة بمنطق الصراع الذي تعيشه الشخصية بسبب كثرة الضغوط الواقعية و من اجل تحقيق الاستقرار و الانسجام.

ومن هذه الآليات اللاشعورية التي يسعى بها الإنسان لإرجاع التوازن لديه:الكبت، النكوص، التكوين العكسي، التوحد، التبرير، الإعلاء و هي آليات لاشعورية تلجأ اليها الذات المعذبة من اجل التفريغ و استعادة التوازن في حالة اشتداد ضغط المكبوتات وصرامة الواقع.

يمكن اظافة سبب أخر هو الإقامة و لمدة طويلة في فضاءات التواصل الاجتماعي عبر أسماء مستعارة ودون الكشف عن الوجه الحقيقي للذات و هو ما يمنح فرصة تمرير المكبوتات الممنوع تصريفها في الواقع الفعلي لسبب من الأسباب سواء سياسية او قيمية او أخلاقية ، و يمكن تصريفها بسهولة في عوالم الانترنيت و بكل سهولة مادام ان الامر يتم دون الكشف عن الوجه الحقيقي و هو ما يمنح فرصة الانفلات من الرقابة الصارمة للقيم و للواقع ؟

يمكن اعتبار الاسماء المستعارة بمثابة آليات دفاعية يلدا اليها أصحاب الأسماء المستعارة لتخفيف من حدة ضغوطاتهم النفسية و الاجتماعية.

الأمر يقود الى استنتاج ثاني أن من يلجؤن الى الأسماء المستعارة غالبا ما يعانون من تقل من الضغوط الاجتماعية والنفسية و القيمية و التي تشكل لهم اضطرابات سلوكية، مما يصبح الولوج الى شبكات التواصل إجراءا علاجيا من من اجل التخفيف و تصريف كل المكبوثات التي تحدث نوعا من الاضطراب و الضغط النفسي.

ما يؤكد هذه الفرضية هو ان من يستعملون شبكات التواصل الاجتماعي باسمائهم الحقيقية و بصورهم و بتحديد كل ما يتعلق بحياتهم الاجتماعية اغلبهم شخصيات عامة و لها وضع اعتباري بالمجتمع، بالرجوع الى نتائج البحث نستنتج :

جدول رقم –6– حول المدة التي يتم انفاقها في عالم الانترنيت .

صفة اصحاب الاسماء الحقيقية	العدد
رئيس جماعة	03
استاذ	05
محامي	03

فالذين يتوفرون على وضع اجتماعي مريح يستعملون اسماءهم في الولوج الى شبكات التواصل، ذلك ان وضعهم الاعتباري داخل المجتمع وضع هادئ ومريح اجتماعيا، فالراحة الاجتماعية مؤشر أساسي لفهم عدم اللجوء إلى أسماء مستعارة بسبب مفعول الثقة في النفس و الاعتزاز بها.

رابعا : التحرر من سلطة الواقع.

الظاهرة الاجتماعية في نظر دوركايهم ظاهرة قهرية وعمومية، وتتمظهر خصوصية الفرد الاجتماعية من خلال احترام خصوصية مجتمعه،وكل خروج عن ثقافة المجتمع تقابل بالعقاب أو الزجر والإدانة. كما نجد علماء اللغة وخاصة اللسانيون البنيويون يؤكدون أن الفرد غير حر في اختيار لغته ،مادامت اللغة مؤسسة اجتماعية تفرض على الإنسان احترامها، إن أراد الانتماء إلى جماعته اللسانية وهو ما أكده جاكوبسون أن اللغة تحدد ما نقوله أكثر مما تسمح بقوله.

هذه الرؤية الحتمية لطبيعة الإنسان حيث الفرد محكوم بسلسلة من الحتميات والاكراهات النفسية والاجتماعية والبيولوجية وكذا الاقتصادية عبرت عنه الرؤية البنيوية، هكذا تتحدد الملامح الكبرى للاتجاه البنيوي من حيث الدعوة إلى إلغاء الحرية الفردية ،وجعل الإنسان محكوم بحتميات بنيوية انه مجرد حامل لبنيات ،وليس صانعها أم متحكم فيها فالفاعل هو البنية أما الفرد ما هو إلا منفعل داخل هذه البنية.

فالفرد وفق نظريات العلوم الاجتماعية سواء قهرية دوركايم او بنيوية فوكو و كلود ليفي ستراوس و الهابتوس لبورديو والتنشئة الاجتماعية و الشخصية القاعدية لرالف لنتون كلها تصورات تكشف ان الفرد لا يملك الا حرية واحدة و هي الخضوع والامتثال لهذه البنيات القهرية ، مما ولد حالة من الضغط و القهر الاجتماعي ، ساهم في البحث عن مسارات للانفلات من هذا الواقع الضاغط.

لذا يفهم سر النزوح الكبير من الواقعي نحو الافتراضي، لان الهوية الافتراضية مؤسسة على حرية الإبحار في قارة زرقاء " الفيس بوك "، فهذا يعني انها هوية مشتتة داخل فضاء مرقمن لا يعترف إلا بالتعدد و الاختلاف و التشتت ، ويعترف فقط بالتشبيك ربط الناس فيما بينهم من اجل المتعة و التواصل و أشياء خرى خارج الحدود الجغرافية و الثقافية والقيمية.

هو ما يجعل الهوية الافتراضية تعادي الوحدة والثبات، أي ان الشخصية القاعدية التي تحدث عنها رالف لنتون في حديثه عن وجود شخصية قاعدية تمثل الإطار المشترك لأعضاء مجتمع واحد، وتمتاز هذه الشخصية بالوحدة والتشابه.

في حين الشخصية الوظيفية حسب لنتون مؤسسة على الاختلاف تبعا لنوع الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها كل فرد.

الهوية الافتراضية تتجاوز أسس رؤية رالف لنتون من حول الشخصية القاعدية ، لأنها هوية مؤسسة على تفكيك الهويات الأصلية، وإعادة تشكيل هوية معولمة و نمطية تعيش على نمط موحد للحياة و نظرة استهلاكية.

سبب الانخراط هو الهروب والتحرر من القهر الاجتماعي للمنخرطين حيت عبر اغلب المستجوبين إنهم يحاولون قتل الوقت او البحث عن بدائل لواقع قاسي، وهو ما يكشف انه التواصل الافتراضي ونوع من الهروب والهجرة من واقع غير مريح وبالتالي يكون الانخراط في شبكات التواصل نوع من الحلول المؤقتة للخروج من الأزمة او على الأقل نسيانها.

الإقامة في شبكات التواصل تعني الهروب من واقع مؤلم الى واقع مريح، فالفيس بوك مثلا لا يحل المشاكل لكنه يساهم في نسيانها ، انه فضاء مسرحي كل واحد يلعب الدور الذي يريحه، بمثابة مجال للتنفيس كل واحد يبث من خلاله آهاته وأوجاعه وخيباته.

خامسا :مظاهر تحول الهوياتي .

لمعرفة مظاهر التحول في قيم الذات بالمجتمع الافتراضي ثم تجميع مجموعة من المعطيات حول طبيعة الرموز والشخصيات المؤثرة في سلوك الافراد الافتراضي و القيمي.

جدول رقم –7– حول رموز الهويات الافتراضية

الرموز	العدد	بعض الامثلة
رموز دينية	25	صور الشيخ كشك – محمد حسان – صورة مكة – ادعية دينية – عبدالباسط – السديس –
رموز فنية ورياضية	12	صور لاعبي كرة القدم : ميسي – رونالدو –زياشوصور بعض المغنيين و الفنانيين.
اشياء طبيعية	8	صور لمناظر طبيعية .
رموز فكرية	05	محمود درويش – مقولات فكرية – اينشتاين
رموز غير معروفة	10	صور غريبة
صور شخصية	14	صور شخصية لاصحابها

من خلال النتائج المتوصل بها يتين ان شبكة الانتماء قد تغيرت و عددت و يغلب عليها الطابع الديني، من خلال صور الفقهاء و القراء و صور المساجد و الأدعية و هو ما يؤكد الحضور الديني في المجال الافتراضي.

وهو الأمر الذي يكشف ان شبكة الانترنيت و شبكات التواصل الاجتماعي أصبح قبلة جديدة للمتدين ، وان المسجد الجديد الذي يجد فيه المتدين الافتراضي كل احتياجاته.

هذه الحشود و التي فرض عليها الصمت و السماع، دون نقاش او حجاج او تساؤل حول خطب الفقهاء، والذين يملكون أحقية التفسير للنص الديني منحتهم العولمة فرصة الانفلات من هذه الهيمنة، و بالتالي فرصة التعبير عن ثقافتهم وتصوراتهم الدينية بعيدا عن الرقابة . فالمجتمع الافتراضي منح هامشا كبيرا من الحرية للحشود المؤمنة والذين حرم عليهم التداول في أمور الدين.

هذا التحول الجديد جعل المؤسسات الدينية الرسمية منها في حالة إحراج نتيجة فقدان السيطرة على الجمهور،الذي كان يبحث عن الحرية و فضاءات للتعبير وجدها في وسائط الانترنيت و التي تحولت الى مساجد جديدة يؤدون فيها طقوس الايمانية.

يمكن الركون الى العولمة ساهمة في دمقرطة الفعل الإيماني، حيت اصبح فعل التعدد تعدديا، وهو ما يعني تعدد أنماط التدين و الخروج من سطوة النموذج التدني الواحد الخاضع لسلطة الجماعة او الدولة، اي انها مرحلة التدين المراقب الى التدين المفتوح.

اظافة الى وجود تاثير المجال الرياضي و الفني هو مؤشر واقعي يكشف مدى اهمية ومركزية الثقافة الرياضية في النقاشات اليومية، حيت اصبحت مواضيع كرة القدم و نتائج المباريات و ظلم التحكيم و مؤامرة الفرق المنافسة و انجازات الالترا، وانتقالات اللاعبيين كلها مواضيع تناقش بشكل يومي و مكثف.

كما نجد وجود مجموعة من الرموز الغريبة و الغير المحددة المعالم و التي تبدو الاقرب الى ما هو احتجاجي فهو مؤشر لتفكير في السلوك الاحتجاجي الرافض لقيم المجتمع.

الانتقال من الهوية الاصلية و الواقعية الى الهوية الافتراضية ،و من المجتمع المعيش و الواقعي الى المجتمع الافتراضي المؤسس في اللامكانقد احدث جملة من التغييرات و التحولات منها :

– فك الارتباط بالوطن و هيمنة الرموز المشرقية.

ضعف الارتباط بالفيم الاجتماعية المؤسسة على التضامن الساخن و القيم الايجابية، حيت اصبح التضامن مع شخص في وضع يحتاج الى مساعدة يتم عن طريق التصوير و المشاركة و ليس التدخل من اجل الانقاذ.

فالذات الافتراضية تعتقد ان استطاعت مساعدة من يطلب المساعدة من خلال تصويره و نشره و تقاسمه في فضاء غير محدود و الحصول على اكبر قدر من الجيمات و المتابعات.

فحتى القيم و الاحاسيس و القيم الاجتماعية اصبحت عبارة عن ايقونات ملونة لا علاقة لها بالفعل الانساني الايجابي.

– ضعف الارتباط بالرموز القومية (الذاكرة المشتركة)

– تغير اللغة المستعملة في التواصل و الإشارة و التحية و الرموز.

وعن انعكاسات هذا التحول على هوية الأفراد يرى بعض علماء النفس أن ظاهرة تمضية أعداد متزايدة من الناس أوقاتا مطوّلة أمام شاشة الكمبيوتر لقضاء "حياة أخرى" تحت هوية غير هويتهم المعتادة و ذلك سواء عند المشاركة في فضاءات الدردشة كما هو الحال في "البال تولك" أو "السكيب". أو في فضاءات افتراضية مفتوحة ك"الفايسبوك" و "تويتر" و"مايسبيس"، فيقوم بتقمص شخصية مغايرة لشخصياتهم المعتادة، أو أثناء التواصل عبر هذه الوسائط الاتصالية الحديثة فيتحقق التأثير والتأثر في أحاسيس و علاقات و هوية الشخص عندما يقضي ساعات طوال في الإبحار على الأنترنيت في عوالم افتراضية يلتقي فيها بطريقة تفاعلية مع أشخاص آخرين تحت هوية غير هويته. فشبكات التواصل الفيس بوك نموذجا تصنع واقعا جديدا و عالما جديدا و قيما جديدة ، حيت كل فرد يعيش عزلة قاتلة و وحدة غريبة حتى و ان كان محاطا بأصدقائه ووسط اسرته ، فهو يتفاعل ، يتحاور ، يناقش ، يمازح البعيد لكنه لا يكلم من يجلس معه و لا ينتبه انه انصرف قبل ساعة ؟؟

الانزياح الى الافتراضي هو بمثابة إعلان عن موت الواقع هو عنوان لمرحلة جديدة تعاد فيها صياغة وجودنا بقيم جديدة و أحلام و رهانات جديدة أي إعادة بناء هوية افتراضية جديدة. فالإنسان الافتراضي الذي لا يحمل أي بعد سوى افتراضيته، بعيدا عن كل القيم و المعايير و العادات القديمة و التي كانت تشكل عبئا عليه،عكس الواقع الافتراضي يمنحه حرية لإعادة تشكيل هويته و فق مايريد و ليس وفق مايريد المجتمع.

الحاجة الى الحرية يقود الى تورة على المؤسسات بما في دلك الأسرة و المدرسة و الحزب والنقابة والجمعية و كل المؤسسات الاجتماعية المخولة بجعل الانسان كائنا اجتماعيا وسياسيا مرتبط بقيم مدينته وجماعته وبلده.

الفضاء الافتراضي هو فضاء للحرية يمنح فرصة اكبر للتعبير عن الذات بعيدا عن الرقابات الاجتماعية والمؤسساتية، فحجم الأرقام و عدد زوار الشبكة يعكس بالضرورة ان المواطن كان يحتاج الى فضاء للحرية.

سادسا : طبيعة الهوية الافتراضية

يمكن القول ان الهوية الافتراضية هي هوية عدوانية تتعدى حدود الواقع ، و تعتدي في الكثير من الاحيان على الهوية الاصلية من خلال تجاهل و تجاوز مقوماتها و قيميها . نجد الكثير من المشاكل الاجتماعية من طلاق و محاولة انتحار

ودعاوي بالقضاء للرد الاعتبار بسبب التشهير ، كلها نتيجة اقتحام المجال الشخصي و تحويله الى فضائح : مثل جرائم الابتزاز بنشر صور فاضحة تم الحصول عليها في غرف الدردشة ، الامر يقود الى استحضار ضريبة الثقة في عالم افتراضي محكوم بقيم معولمة غير القيم الاجتماعية الصلبة. حالات كثير انتجت الكثير من المعاناة و التي وصلت في الكثير من الاحيان الى الانتحار نتيجة الخوف من الفضيحة.

فالهوية الافتراضية مؤسسة على قيم واسس منها:

اولا : تصدع الزمن:

فالانخراط في شبكة يعني القدرة على التواجد في زمانيين مختلفين زمن الشبكة و الزمن الفعلي ، كما يعل على تغيب مفهوم المستقبل و حصره في حفظ الحاضر و استدامته عبر الية تخزين الصور و التقاط أي حدث تعيشه الذات و الهوس بتحويله الى فعل افتراضي بعد تجريده من واقعيته عبر آليات السيلفي ، و يعمل على تذكيرك كل يوم بإحداث وقعت لك في نفس اليوم . بذلك يتحول الحاضر الى ماضي و يتحول الماضي الى مستقبل في انقلاب جذري لمفهوم الزمن.

ثانيا : تغيير مفهوم الواقع:

وعندما كان التلفاز في بداية انتشارها توقع الفيلسوف الألماني غونتر أندرس في إحدى تأملاته هذا الخطر القادم من صندوق العجب هذا، قائلاً: "عندما يصبح الشبح حقيقيًّا، يصبح الحقيقي شبحًا.

فريدريك هيجل لم يكن يتوقع ان رؤيته لحركية التاريخ و الذي حدد نقطة نهايتها في تطابق الفكر والواقع ، قد انزاحت عن مسارها و هنا هناك ضياع و سط عالم افتراضي ، الذي التهم الواقع الفعلي و جعل وجوده رهين بوجود شبكة الاتصال و بوجود كهرباء.

هكذا اكتسح العالم الافتراضي العالم الواقعي و التهمه ، كما التهمت الهوية الافتراضية الهوية الاصلية ، عملية الالتهام شبيه بشبكة العنكبوت و التي تصنع شبكة خيوط رقيقة و ناعمة لكنها جبارة في تكبيبل الضحية من اجل التهامها. الواقعي أصبح افتراضيا و الافتراضي وأصبح واقعيا ، ربما هذا هو الواقع المعولم و الذي اصبح يغطي مجمل انشطة الانسان : (التعليم الافتراضي – الحب الافتراضي، الشخصية الافتراضية، التجارة الافتراضية، الإرهاب الافتراضي، المتحف الافتراضي – القيم الافتراضية –التواصل الافتراضي ، الزواج الافتراضي ، العنف الافتراضي ، المكتبات الافتراضية ومؤسسات التدريس الافتراضية وحتى عملة افتراضية – بيتكوين – اصبحت تشكل تهديدا للعملات المتداولة. لقد أدت عملية رقمنة العالم إلى انتزاع الواقعية عنه. إنها ظاهرة من العسير التحكم فيها، إنها مثل ثقب أسود يبتلع الواقع المحسوس. قبل أن تصبح اليوم الحواسيب والهواتف الذكية هي ما يمثل هذا الخطر الزاحف الذي يتهدد جغرافيا العالم الواقعي و يبتلعه.

ثالثا : هوية رقمية :

يعتبر مؤسس شبكة التواصل الفيس بوك انه بالنسبة لمواطن الغد، تشكل الهوية أغلى السلع . وهو ما يكشف ان استمرار نسق العولمة مرتبط بنمط الهوية و الشخصية التي تتفاعل مع نظم العولمة و تتجاوب معها ، لان كل هوية عنيدة رافضة

تعني خسائر متتالية . ربما يطرح السؤال حول تجربة دول اسيا و كيف تفاعلت مهع العولمة مع الحفاظ على هويتها الخاصة و هي تجربة تستحق ان تدرس و كيف استطاعت هذه التجارب ان تبني نموذجا معولما خاصا بها ، منفتح على العالم ومحافظ على قداسة القيم المحلية.

ربما تكون الفرضية ان بناء العلاقة مع الذات ومع العالم على اساس عقلاني تكون هي القنطرة الاساسية لبناء هوية منفتحة على العالم و متصالحة مع ذاتها.

ان مسارات هويتنا الرقمية لم تعد مرتبطة بجغرافية مجالية او اجتماعية و انما اصبحت مرتبطة بمدن افتراضية و شبكات افتراضية حيت الجغرافية المحلية يرمز لها بالحرف (ma.) . اما المؤسسات فيرمز لها ب (org.)في حين المؤسسات الاجنبية فيرمز لها والأجنبية (fr.) اما المؤسسات الكونية فيرمز لها(com.)
برغم مساحة الحرية التي يوفرها الواقع الافتراضي وإلغائه للحدود بين الأوطان والثقافات واللغات، غير أنه وكما يشير إلى ذلك الأنتربولوجي الأمريكي توركل في مؤلفه "عزلة جماعية" اننا نجتمع كل يوم لكننا مازلنا وحيدين ، انها مؤشر على فردانية غريبة في عالم افتراضي تبحث عن ذاتها فقط.

لعل اهم ما يمكن اثارته أن الهوية الافتراضية اصبح سلعة تصنع في أماكن غير معروفة او في اللامكان وهو ما يجعلها هوية معذبة ، تزداد عذاباتها من خلال فقدان السيطرة على الذات و اختراق فضاء الحميمية و استباحة الخصوصة لان اغلب المعطيات الخاصة اصبحت مكشوفة لدى المتحكمين من خلال التلاعب و توظيف المعلومات الخاصة لإغراض سياسية ، اظافة إلى تدمير مبدآ التناقض وترسيخ مبدأ لا معيارية الحقيقة ، و النظرة السطحية وبرودة العلاقة مع اللغة الام. لعل اهم درس نستخلصه من هيمنة و اكتساح العولمة هو ميلاد هويات جديدة مؤسسة على النمطية و التشابه ، هويات افتراضية تنتعش حين تعيش خارج قيمها و عاداتها و خصوصياتها ، و تفضل ان تقيم خارج ذاتها.

يبدو ان الهوية الافتراضية قد أدخلت تغييرات كبيرة على الحياة الداخلية للاسر ، لأنها وفرت فضاء مريحا للفرد في عوالمه الزرقاء ، بعيدا عن مراقبة و تدخل العائلة و قيمها و اشتراطاتها القسرية . وضع ساهم في تكريس العزلة داخل الفضاء الأسري ورفع من منسوب العزلة الاجتماعية، وساهم في تفكك النسيج العائلي والاسري، كما أن العلاقات الالكترونية زاحمت العلاقات والمجالس العائلية. والاسرية.

اصبح الحديث عن القرية الكونية، إشارة الى تصغير الكبير/ العالم و تكبير الصغير/ الفرد، فالعالم اصبح قرية، مما منح الكثير من الوهم للافراد على التجوال فيها بسهولة حيت الدخول و الخروج متى يشاء الفرد ودون أي عناء. بمجرد الدخول الى القرية – الفضاء الصغير و المعزول و المعرف سكانه و تضاريسه و حتى تفاصيل حياته اليومية – فان الزائر سيضيع و ربما يجد صعوبة من الخروج نظرا لتعقد مسارات التفاعل داخل شبكة تلتهم كل شئ بما فيها التهام الهويات الصلبة.

ما يؤكد أن الهوية الافتراضية هي هوية قوس قزحية، متغيرة غير مستقرة هو ان اغلب زوار ومواطني القارة الزرقاء لا يكشفون على اسمائهم وعن هوياتهم الحقيقية، وهو امر يكشف إحدى اليات تفكيك الهويات الأصلية وإذابتها في فضاء لامتناهي.

نتائج الدراسة :

كشفت نتائج الدراسة أن :

- المجتمع الافتراضي اصبح واقعا اجتماعيا .

-الفيس بوك هو الفضاء الاكثر استعمالا من بين شبكات التواصل بالنسبة للراشدين في حين الانستغرام و السنابشات و اليوتوب الاكثر استعمالا من طرف المراهقين .

- إن الانضمام إلى المجتمعات الافتراضية كان بدافع لاشعوري من اجل التخلص من ضغوطات اجتماعية و نفسية

- تمثل الهوية الافتراضية عند غالبية الأفراد انعكاسا طريقا لهوياتهم الحقيقية لاسيما ممن يعيشون وضعا اجتماعيا مريحا وهو ما يفسر تصريحهم ببياناتهم الحقيقية حول السن والجنس والمواصفات ووضع صورهم الحقيقية.

- تفتيت معايير الانتماء الاجتماعي و الوطني استبدالها بمعايير و رموز شرقية و فنية من خارج المجال الجغرافي.

خاتمة :

الوظيفة الأساسية للمؤسسات الاجتماعية هو تربية الفرد تربية اجتماعية، وتحويله من كائن فيسيولوجي له حاجات بيولوجية إلى كائن اجتماعي له قيم اجتماعية و ثقافية.

حسب رؤية إميل دوركايم فالمجتمع هو المسؤول عن بناء شخصية الإفراد وربطهم بمجتمعهم عبر آليات التنشئة من خلال تثبيت القيم الاجتماعية والمفضية بدورها إلى بناء مواطن صلب ومؤسسات صلبة ومنسجمة قادرة على الاستمرار ومقاومة عناصر وأسباب التغي.

التصور الدوركايمي يكشف ان الإنسان منتوج اجتماعي و صناعة اجتماعية يتم تحويله من كائن فيسولوجي الى كائن اجتماعي،عبر مسارات التنشئة الاجتماعية المعقدة الهادفة الى بناء ذوات فردية منسجة مع هوية و توابث المجتمع.

بهذا المعنى المجتمع يشكل المصدر الوحيد لبناء شخصية الفرد و قيمه؛ ذلك لأن سلطة المجتمع يتم ترسيخها في وعي الأفراد عبر ما اسماه رالف لنتون بالصنارة الاجتماعية كآلية لربط الفرد بمجتمعه. وبهذا يكون الوعي الأخلاقي والاجتماعي للفرد مجرد صدى للوعي الجماعي. حيت يكون المجتمع هو الذي يحدد الواجبات/قهرية الظاهرة الاجتماعية، وما ينتج عنه من تضاءل مساحات الحرية الفردية أمام عمومية الظاهرة الاجتماعية و قهريتها وسلطة المجتمع المنتشرة في كل مكان.

غير أن التحولات المتسارعة في وظائف المؤسسات الاجتماعية بسبب تأثيرات العولمة، والتي تعمل على تفكيك الهوية المحلية، و إعادة تشكيل هوية جديدة تصنع في اللا- مكان وفي اللا- واقع حيت تتم صناعتها و بناءها في الفضاءات الافتراضية و شبكات التواصل و في مجالات الانترنيت.

اذا كانت الهويات الصلبة مرتبطة بمكان وزمان و شبكة تفاعلات و قيم مشتركة و مصالح ورهانات واقعية تتسم بالديمومة و بالثبات، وهو او المجتمع العضوي حسب دوركايم، هو ما يجعل الهوية منتوجا اجتماعيا خاضعا لتفاعلات التاريخ والجغرافية و شبكة المصالح و التبادلات الاجتماعية و القيمية.

غير أن الهوية الافتراضية على خلاف ذلك تتأسس حين ينخرط الفرد في الشبكة و يذوب في عوالمها خارج حدود الجغرافية الثقافية و القيمية المحددة في شخصيته الاجتماعية.

في هذا الإطار أنجزت هذه الدراسة الاستكشافية كمحاولة للبحث في طبيعة العلاقة بين الشخصية الواقعية والمجتمع الافتراضي، وهل تتحدد العلاقة بين شخصية واقعية و مجتمع افتراضي; ما طبيعة ونوع التحولات المحدثة في نسق شخصية رواد الشبكة.

الانزياح إلى الافتراضي هو بمثابة إعلان موت الواقع او على الأقل تفتيته، وهو ما يشكل بداية لمرحلة جديدة تعاد فيها صياغة الوجود الاجتماعي و معايير المجتمع الافتراضي والأدوار الجديدة للأفراد، مما يقود الى انتاج و إعادة بناء هوية افتراضية جديدة.

فالإنسان الافتراضي الذي لا يحمل أي بعد سوى افتراضيته، بعيدا عن كل القيم والمعايير والعادات القديمة والتي كانت تشكل عبئا عليه، عكس الواقع الافتراضي يمنحه حرية لإعادة تشكيل هويته وفق مايريد وليس وفق مايريد المجتمع. الحاجة الى الحرية يقود الى ثورة على المؤسسات بما في دلك الأسرة والمدرسة والحزب والنقابة والجمعية، وكل المؤسسات الاجتماعية المخولة بجعل الانسان كائنا اجتماعيا وسياسيا مرتبط بقيم مدينته و جماعته و بلده.

المراجع :

- انتوني غيدنز2005 ،علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان ص 65 .
- صالح مصطفى الفوال،مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، دط، مكتبة الغريب : القاهرة – 1982 ،ص 35
- علي خليل شقرة،الإعلام الجديد شبكات التواصل الاجتماعي) ط1 ، الأردن :دار أسامة للنشر والتوزيع،2014
- محمد إبراهيم عيد ، الهوية والقلق والإبداع ، ط1 ، دار القاهرة للنشر : القاهرة – 2002 ، ص 17.
- محمد عابد الجابري، العولمة ومسألة الهوية بين البحث العلمي والخطاب الاديولوجي، مجلة فكر ونقد، عدد 2، ص. 13.
- محمد علي رحومة ، علم الاجتماع الآلي ،ط1 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : الكويت – 2008 ، ص 151.
- مرزوق عبد الحكم العدلي :الإعلانات الصحفية، دراسات في الاستخدامات والاشباعات) ط1 ، القاهرة: دار الفجر،
- مرفت طرابيش وعبد العزيز السيد، نظريات الاتصال) د.ط، القاهرة:دار النهضة العربية 1990
- ياس خضير البياتي :الإعلام الجديد للدولة الافتراضية الجديدة،)ط 1 كلية الإعلام، الإمارات العربية المتحدة:

- GUIREY Remond et compren hondt ، lucvan ، manuel de recgerche en sciences sociales dunot(paris :1988) ، p151
- Serge Proulx : (2004) « les communauté virtuelles, construisent-elles du lien social ? » colloque international : l'organisation media, dispositifs médiatiques, sémiotiques et des médiations de l'organisation, université Jean moulin, Lyon ,19-20 /11/2004. « http://www.lcp.cnrs.fr/pdf/pro-04a.pdf » (16/02/2011)
- FEJLAOUI younss; Leadership d'opinion et communautés virtuelles : un état de l'art; Centre de Recherche en Gestion, Institut d'administration des Entreprises, Université des; Sciences Sociales de Toulouse1, Place Anatole France.